# المساكن الريفية بمنطقة جبالة –مسكن الحاج بالخضر أنموذجا– دراسة أثرية

Rural habitat in Jabalah Region-Hadj Bel Khadr dwellings
Archaeological Study

صارة بلال

جامعة قسنطينة02 عبد الحميد مهري

sara.belal@univ-constantine2e.dz

شيماء معزوز*

جامعة قسنطينة02 عبد الحميد مهري

cheymaa.mazouz@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/04/07 تاريخ القبول 2025/05/12 تاريخ النشر 2025/06/03

**ملخص:**

نهدف من هذه الورقة البحثية إلى دراسة أنموذج من المساكن الريفية بمنطقة جبالة التابعة إداريا لولاية تلمسان، التي تتميز بطابعها الجغرافي الذي كان له تأثير كبير على أنماط المساكن بها، حيث سنسعى من خلال هذه المساهمة إلى التعريف بمسكن الحاج بالخضر وأهم مكوناته المعمارية، والوقوف على حالته الراهنة التي باتت تهدده بالزوال والاندثار.

لنخلص في الأخير أن تصميم وتشكيل المسكن الريفي في هذه المنطقة أثرت فيه عوامل بيئية واقتصادية واجتماعية وبالرغم أن المعلم المدروس ينتمي إلى نمط المسكن الريفي المنعزل إلا أنه يعكس أصالة المسكن العربي الإسلامي.

* المؤلف المراسل

**الكلمات المفتاحية:** تلمسان؛ منطقة جبالة؛ المسكن الريفي؛ الحاج بالخضر؛ دراسة اثرية.

***Abstract:***
In this research paper, we aim to study a model of rural habitat in the Jbala region, administratively affiliated with the state of Tlemcen, which is characterized by its geographical character, which has had a significant impact on housing patterns therein. Through this contribution, we will seek to introduce the Hadj Belakhdar residence and its most important architectural components and determine its condition. The current situation threatens to disappear.
Finally, let us conclude that the design and formation of the rural dwelling in this region were influenced by environmental, economic, and social factors, and although the studied feature belongs to the style of the isolated rural dwelling, it reflects the authenticity of the Arab-Islamic dwelling.
***key words:*** Tlemcen; Jbala region; rural dwelling; Hadj Belkhadr; archaeological study.

**مقدّمة:**

تعتبر عمارة المساكن من أهم أنواع العمائر المدنية كونها الفضاء الذي يأوي إليه الانسان ليقيه من العوامل والظروف البيئية المختلفة، وقد حضي التخطيط المعماري لهذه المساكن بنمطية تختلف بين المدن والارياف، فقد نجدها متعددة الطوابق وغنية بالمنشآت المعمارية والعناصر الزخرفية والفنية المختلفة في المدن، بينما تحلت بطابع البساطة دون استخدام طابع التنميق والزخرفة في القرى والأرياف ، وهذا راجع إلى النمط البيئي والمعيشي القائم عدة عوامل أساسها العامل الاجتماعي المبني على التلاحم والترابط ، والعامل الاقتصادي من أجل توفير لقمة العيش في بيئة صعبة باستغلال كل المواد المحلية السائدة وتكييفها مع الوسط الذي يعيش فيه.

وتعد منطقة جبالة إحدى المناطق الريفية بولاية تلمسان التي تزخر بالتراث العمراني الريفي التي تزال تحتفظ بالعديد من المستوطنات والمباني المحلية تشهد على أسلوب الحياة الريفية التقليدية وكيف تم تشكيلها لتلبية احتياجات سكانها وفقا لتقاليدهم المحلية

ومواردهم الطبيعية وظروفهم المناخية، وبفعل هذه العوامل تشكلت تقاليد معمارية أهمها المساكن الريفية البسيطة حيث أنها تتميز بطابع عمراني بسيط يعكس الحياة الاجتماعية لسكان القرية.

وستقتصر دراستنا على إحدى نماذج هذه المساكن التي تعكس نمط المسكن الريفي بهذه المنطقة، الذي عرف باسم دار الحاج بالخضر الواقع نواحي قرية الحوانت، والوقوف على أهم مكوناته المعمارية والزخرفية ان وجدت، دون أن نغفل عن حالته الراهنة مع محاولة إيجاد بعض الحلول لإعادة إحيائه وجعله كمتحف مفتوح يعكس بساطة المسكن العربي الإسلامي الريفي. وعليه جاءت مشكلة الدراسة متمثلة في: مـــاهي أهم المكونات المعمارية لمسكن الحاج الخضر؟ وقد نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالمنطقة بالدرجة الأولى بما أنها تفتقر إلى الدراسات الأكاديمية الجادة، ثم دراسة أثرية لنموذج المسكن الريفي بها.

## 1. التعريف بمنطقة جبالة

**1.1 الموقع:** تقع منطقة جبالة غرب ولاية تلمسان، يحدها من الشمال بلدية تيانت والسواحلية، جنوبا مغنية وحمام بوغرارة، وشرقا ندرومة وعين الكبيرة وتقدر مساحتها الاجمالية بـ 115كلم مربع [1].

**2.1 أصل التسمية:** لا توجد معلومات دقيقة تمكننا من تحديد اسم المنطقة لكن يعتقد أن أصل تسمية جبالة يعود إلى طابعها الجغرافي الجبلي [2].

**3.1 التركيبة السكانية** : يعود أصل سكانها إلى قبيلة زناتة[3]، تحديدا من قبيلة كومية التي تطرق إليها إبن خلدون وقدم لنا شرحا مفصلا عنها حيث يقول: "وهم المعروفون قديما بصطفورة إخوة لماية ومطغرة، وهم من ولد فاتن كما قدّمنا، ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومة وصغارة وبنو يلول، فمن ندرومة نغوطة وحرصة وفردة وهفانة وفراتة، ومن بني يلول مسيفة ووتيوة وهيوراة ووالغة، ومن صغارة ماتيلة وبنوا

حياسة ...، وكانت مواطن كومية بالمغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشقول وتلمسان وكان لهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة وصاروا من أعظم قبائل الموحدين"[4].

وعلى حد قوله فإن جبالة تنتمي إلى قبيلة كوميا ولها أهمية كبيرة في المنطقة مثل بني يلول والتي تكونت منها مسيفة، وصغارة التي انشقّت منها ماتيلة (قرية الحوانت وضواحيها حاليا) وكان بربر جبالة جزءا من قبيلة زناتة الكبرى ، وكانت منطقة جبالة تنقسم إلى أربع فروع وهي: ماتيلة – مسيفة – العيون – زاوية اليعقوبي[5]، حيث ساهمت هذه الفروع في إثراء الجانب التاريخي والأثري للمنطقة لما خلفته من قرى ومداشر عمرت طويلا وخلقت مجموعة مميزة من العمران الريفي بالمنطقة وخاصة المساكن التي تعد فضاءا اجتماعيا يعبر عن مدى علاقة المجتمع الريفي ببعضه البعض وتكييف كل المؤهلات البيئية والطبيعية من أجل البناء والاستقرار.

## 2. مفهوم المسكن

**أ– لـغــة:** المسكن مشتق من الفعل سَكَنَ والسَكَنُ والمسكَنُ بمعنى المنزل[6]، والسكون هو ثبوت الشيء بعد تحرك ويستعمل في الاستيطان فنقول سكن فلان مكان ما، أي استوطنه، واسم المكان مسكن والجمع مساكن[7].

**ب– اصطلاحا:** المسكن هو البيت والدَار والمنزل وان اختلفت هذه الأخيرة فيما بينها خاصة لدى أهل الشرع. كما ذكر المسكن في القران الكريم لقوله تعالى: " والله جَعَلَ لَكُم من بُيوتكُم سَكَنا وجَعَلَ لكُم من جُلُود الانعام بيوتا تستخفونها يوم طَعْنكُم ويَومَ إقَامَتكُم ومن أصوافهَا وأوبَارهَا وأشعَارهَا أثَاثاَ ومَتاعَا إلى حين "[8]

فالمسكن هو كل بناء حضري أو ريفي ينزل به من حجر أو اجر أو خشب، وكل خيمة بدوية من جلد أو صوف أو وبر والمسكن مطلقا للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات[9]، وهو وحدة فضائية، تتوافق مع وحدة اجتماعية، الذي يضم كل المواضيع الإنسانية

للمجتمع في إطار محدد، أما من الناحية الفيزيائية فهو كل وحدة سكنية مكونة من شقق تضم أفراد تجمعهم علاقات أسرية يشتركون في استعمالها والتعايش فيها[10].

**1.2 مفهوم المسكن الريفي:** هو الحيز المكاني الذي تمارس فيه أفراد الوحدة المعيشية – بصفة أساسية–مختلف أنشطة حياتهم اليومية، ويتضمن المفهوم كذلك التسهيلات المعيشية الضرورية التي يحتويها الحيز المكاني فضلا عن البعد الاجتماعي المتمثل فيمن يعيش هذا المسكن[11]، فالمسكن الريفي ما هو إلا انعكاس صادق لظروف البيئة ونمط الحياة الاجتماعية السائدة[12]،وقد لا تختلف المساكن الريفية في موادها المحلية البسيطة وإنما يكمن جوهر الاختلاف في خطتها وحجمها وشكلها، ومنها المنتظم الشكل ومنها غير المنتظم فنجد البسيط والمركب والمتعدد الطوابق، إلا أن هذا النمط تفتقر إليه المنطقة، فجل المساكن كانت ذات طابق واحد (أرضي)، على عكس ما لا حضناه في نماذج من مساكن قرى منطقة بني سنوس، وهذه الاختلافات ماهي إلا نتيجة تنوع استغلال الأرض ومستويات المعيشة، وزعت هذه المساكن في القرى والمداشر، عرفت بالقرى الريفية والتي هي عبارة عن مستقرات سكنية تأوي عدد من العائلات السكانية ....تختلف أنماطها حسب موقعها الجغرافي وشكلها العام، فمنها ما هو عبارة عن قرى ريفية صغيرة تضم عددا صغيرا من المساكن حيث لا يتجاوز عددها 3 أو 4، وتكون منتشرة في أماكن واسعة وبشكل منعزل[13]، ومنها القرى ريفية اعتيادية، وتضم مجموعة كبيرة من المساكن بالإضافة الى وفرة الكثافة السكانية بها، وقد تتأثر مساحة هذه القرى بالعامل الطبوغرافي حيث يتوقف توزيعها حسب الحاجز الطبيعي المحيط بها، وتتميز مساكنها بالالتصاق مع بعضها البعض[14]،ومنها والقرى الريفية المدمجة، حيث يأخذ هذا النمط أشكالا عديدة تتحكم فيها طبوغرافية المنطقة والعوامل التاريخية والاجتماعية، التي أدت الى تطورها وطرق وأساليب الزراعة المتبعة في المنطقة التي توجد فيها القرية، كما أن الموضع الذي تكون فيه القرية يؤثر بشكل كبير على شكلها وتركيبها وهيئتها، لذلك

نجدها تأخذ أشكال عديدة منها ذات الشكل الطولي، ومنها الشكل المربع الدائري وأخرى ذات الشكل الشبكي ...إلخ[15]، وهناك نموذج مميز من أنواع القرى الريفية والمتمثل في السكن الريفي المنعزل، إذ ينحصر هذا النوع في منزل واحد ريفي منعزل أو مجموعة منازل تبتعد كثيرا عن المنازل الريفية الأخرى، وهذه العزلة لتحقيق رغبة الفلاح في البناء والسكن في أرضه الخاصة به، أكثر من رغبته بقرية تضم مجموعة من المساكن[16] وهو نفس النمط الذي وقع عليه نموذج الدراسة .

**2.2 عـــوامل تكـــــوين المســـكن الريـــفي:** إن المسكن الريفي في داخله هو جزء من محمية كبيرة المتمثلة في القرية، حيث تشكل في مجموعها المجتمع الكبير الذي يضم سكان هذه البيوت، حيث نجد المنازل في الريف متلاصقة ومتداخلة مع بعضها البعض، كما أن دروبه وأزقتها ضيقة ومتعرجة، ولهذا التركيب والتلاصق أسباب وعوامل نذكر منها:

- **العـــامل الديني:** حث الدين الإسلامي المؤمنين على التراحم والترابط فيما بينهم وأن يكونوا كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعض، لذلك فإن تداخل البناء وتماسكه جزء من الادب العمراني الإسلامي[17].
- **العامل النفسي** : يميل الإنسان بطبعه إلى تكوين مجتمع متحضر يدافع عنه ويحميه، وهذا ما دفع السكان إلى تكوين قرية والالتفاف حول بعضهم البعض.
- **العامل الاجتماعي:** المسكن أو البيت هو نواة التركيب الاجتماعي حيث يقابل هذا التدرج الاجتماعي تدرجا فضائيا داخل الحي السكني الواحد، حيث تتجسد قرابة النسب في قرب المكان أو الجوار الذي يثبت مدى التلاحم الاسري، فالبيت الذي ينشأ على أساس الاسرة النووية (الام – الاب) يتوسع بعد عدة سنوات للأبناء ويزداد توسعا بعد زواجهم، كما أن العلاقات الاجتماعية في القرية متينة وقوية ومتحررة نوعا ما وهذا ناتج عن عدة عوامل نذكر منها:

**العامل الأول:** هو صلة القرابة التي تربط سكان القرية، حيث نجدهم مجتمعين على روابط اسرية عن طريق المصاهرة والتزاوج، وهذا ما أدى إلى توطيد العلاقات الاجتماعية.

**العامل الثاني:** هو احتكاك سكان القرى ببعضهم البعض من خلال ممارسة النشاطات الفلاحية التي تحتاج إلى أيادي عاملة كثيرة، حيث يدعي الأمر إلى الاختلاط والاندماج، وهذا الاندماج جعل القرية تعتبر عائلة واحدة[18].

**3.2 أهمية المسكن في العمران الريفي:** يعد المسكن الريفي محورا لنشأة ونمو العلاقات العائلية بين وحدات العائلة بداية من الاسرة الصغيرة إلى العائلة الكبيرة، ثم تمتد هذه العلاقات لتشمل الجيرة والمجتمع، كما له بعدا إنتاجيا هاما ومؤثرا حيث تمارس فيه الاسر الكثير من الأنشطة الإنتاجية وبعض الصناعات الريفية الصغيرة.

كما يعمل المسكن الريفي كمأوى للإنسان والحيوان في أن واحد، وهذه الشراكة في المأوى تفرضها طبيعة البيئة الريفية، وهو الامر الذي يستلزم تقسيم الفرغات والوحدات الداخلية بشكل مدروس[19].

**3. مسكن الحاج بالخضر**

**1.3 الموقع والتسمية: يقع** مسكن الحاج بالخضر بقرية الحوانت وهي إحدى القرى الريفية التابعة لفرع ماتيلة، حيث بني في منحدر صخري، وهو مسكن منعزل وسط مساحة غابية تحيط به الأشجار من كل الجوانب. (الصورة الجوية رقم 01)

**2.3 الوصف الخارجي للمسكن:** يتسم المسكن بالبساطة في مظهره الخارجي، حيث يظهر ككتله معمارية مستطيلة الشكل، واجهاته الأربعة بسيطة تتخللها بعض النوافذ الصغيرة خالية من أي عناصر زخرفية، وهذا ما تميزت به المساكن في القرى الريفية بصفة عامة. (الصورة رقم 01)

**3.3 الوصف الداخلي للمسكن:**(المخطط رقم 01)

- **المدخل الرئيسي**: يقع المدخل الرئيسي لهذا المنزل في أقصى الجهة الجنوبية، وهو عبارة عن مدخل منكسر يبلغ عرضه1.64 م وسمكه 0.62م.

- **الصحن**: نصل إلى الصحن من خلال المدخل المنكسر الذي يقع في أقصى الجهة الجنوبية، يبلغ طوله 11.69م وعرضه 10.48م، تحيط به الغرف من الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية، كما يحتوي الصحن على مطمورة تقع في الجهة الشمالية الشرقية منه كانت تستعمل لتخرين الحبوب يبلغ عمقها حوالي 2م وفوهتها حوالي 0.80م، أما جدرانه فتتخللها بعض الفتحات الصغيرة التي يترواح طولها حوالي 0.75م وعرضها 0.40م وسمكها 0.50م، وكانت تسمى البرجة وهي مكان توضع فيه الدجاجة من اجل وضع البيض. بالإضافة الى وجود بعض أشجار الزيتون في وسط الصحن لا نعلم إن كانت أصلية أم مضافة، أما أرضيته فنجدها طبيعية وبسيطة من التراب والطين.

- **الغرف**: يحتوي هذا المسكن من خلال الشكل العام على ستة غرف مختلفة الأحجام كلها تطل على الصحن بشكل مباشر، وتحتوي هذه الغرف على مداخل بسيطة تتشابه فيما بينها ولا يوجد بها سقف (أي فقدت سقفها نتيجة عوامل مختلفة سنأتي على ذكرها لاحقا)، تتخللها نوافذ صغيرة البعض منها تطل على الصحن والأخرى تطل إلى الخارج من الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية.

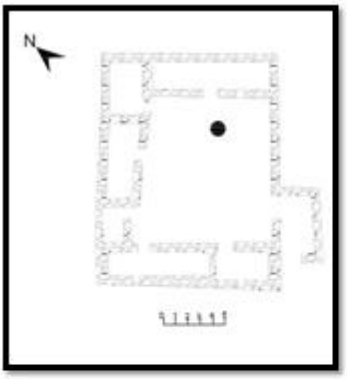
تقع الغرفة الأولى في الجهة الشمالية الغربية من الصحن، وهي مستطيلة الشكل تقريبا يبلغ طولها حوالي 3.36م وعرضها حوالي 2م، بها مدخل بسيط يقع في الجهة الجنوبية الشرقية طوله حوالي 1م وعرضه حوالي 0.82م، يتخلل الجدران المقابل للمدخل نافذة تطل إلى الخارج يبلغ عرضها 0.65م وارتفاعها 0.75م وسمكها 0.55م، جدرانها مبنية بالحجارة وملبسة بالجير الأصفر بالإضافة إلى التبن والحصى الصغيرة، وتقع الغرفة الثانية في الجهة الجنوبية الغربية من الصحن، يبلغ عرض مدخلها 1.02م وسمكه 0.62م وهي

غرفة طويلة مستطيلة الشكل طولها 8.20م وعرضها حوالي 1.92م، يتخلل جدرانها المقابل للمدخل نافذة صغيرة الحجم يبلغ عرضها 0.65م وارتفاعها 0.85م وسمكها من الداخل 0.35م، مكسوة بالملاط الجيري. أما الجدار الشمالي الشرقي للغرفة فهو الاخر تتخلله نافذة عرضها 0.44م وارتفاعها 0.58م وسمكها 0.62م. وتأخذ نفس مواصفات الغرفة السابقة لها فيما يخص الجدران والسقف، وتقع الغرفة الثالثة في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن، يبلغ طول مدخلها حوالي 1م وعرضه 0.97م وسمكه 0.60م وهي غرفة غير منتظمة صغيرة الحجم طولها 2.80م وعرضها 1.77م، بها نافذة في الجدار المقابل للمدخل عرضها 0.47م وارتفاعها 0.67م وسمكها 0.44م وتقع الغرفة الرابعة في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن وهي غير منتظمة الشكل، أما الغرفة الخامسة فتقع في الجهة الشمالية للصحن، عرض مدخلها 0.97م وسمكه 0.61م، مستطيلة وصغيرة الحجم عرضها 2.30م، خالية من النوافذ أما الغرفة السادسة فتقع في الجهة الشمالية الشرقية للصحن، يبلغ عرض مدخلها 1.80م وسمكها 0.62م، وهي الغرفة الأكثر انتظاما في المسكن طولها 9.67م وعرضها 2.27م، تحتوي على نافذة تطل على الصحن عرضها 0.72م وارتفاعها 0.80م وسمكها 0.60م، ويبدوا أنها كانت الغرفة المخصصة للوالدين.

- **المسخر**: وهو المكان الخاص بحضير الطعام، ويقع مسخر مسكن الحاج بالخضر بالخارج يقابل الواجهة الجنوبية الشرقية وهو عبارة عن غرفة مربعة الشكل مدخلها عريض يسير عكس اتجاه الريح وهذا لتجنب وقوع الحرائق، شيدت هذه الغرفة من الحجارة الموضوعة بشكل منتظم، حاليا فقدت بعض أجزائها نتيجة عوامل الزمن المختلفة.

✍ مما نلاحظه في مسكن الحاج بالخضر انه ينتمي إلى المنازل الريفية المنعزلة بعيد عن التجمعات الريفية الأخرى الموجودة بالمنطقة، وقد تعرض هذا المنزل إلى سقوط سقفه

الذي يذكر أنه كان مسقف بخشب العرعار لأنه كان منتشر بكثرة في المنطقة، بالإضافة إلى عدم وجود عنصر الروى أو الإصطبل داخله.




المخطط رقم 01: مخطط مسكن الحاج بالخضر

عمل الباحثتين



الصورة الجوية رقم 01: موقع مسكن الحاج بالخضر

عن: Google earth



الصورة رقم 01: منظر عام لمسكن الحاج بالخضر

تصوير الباحثتين

**4. تشخيص عوامل التلف اللاحقة بالمسكن:** تتمثل عوامل التلف فيما يلي:

## 1.4 العوامل الفيزيوكيميائية:

- **درجة الحرارة:**

تتعرض الطبقات الخارجية للأسطح المكشوفة لأشعة الشمس فإنها تمتص وتخزن الطاقة الحرارية العالية بفعل الأشعة تحت الحمراء. وهذا التخزين يؤدي إلى إرتفاع درجة حرارتها على مدار ساعات النهار. وجزء من هذه الحرارة يتسرب إلى الداخل وبمرور الساعات وعند الليل تنخفض درجة الحرارة لتصبح الجدران الخارجية أبرد وأقل درجة

حرارة من الأسطح الداخلية التي تسرب إليها جزء من الحرارة[20]، إن هذا التفاوت في درجات الحرارة يؤثر سلبا على مواد البناء وخاصة على الأسطح الخارجية. وتأثير يكون مباشرا وبهذا تكون هناك عملية تمدد وإنكماش وبتالي تحدث تشقق وإنكسار وسقوط الجدران[21]، كما يمكن القول أن أغلب المعلم التاريخية والمواقع الأثرية تعاني من تفاوت في درجات الحرارة التي تؤثر سلبا. ولم يسلم مسكن الحاج بالخضر من تفاوت في درجات الحرارة المتباينة.

- **الرطوبة:**

تعد من أخطر عوامل التلف الفيزيوكيميائية حيث ينجم عن دخولها في مواد البناء أضرارا بالغة، وهذا ما لاحظناه بالمبنى، إذ تعمل الرطوبة بمختلف مصادرها على إحداث شقوق وشروخ ، زوال الملاط والتلبيس، تفكك الطوب وانهيار بعض أجزاء من الجدران. (اللوحة رقم 01).



اللوحة رقم 01: تأثير الرطوبة على مسكن الحاج بلخضر

تصوير الباحثين

وتتنوع مصادر الرطوبة من مياه الجوفية، ومياه الأمطار:

- **مياه جوفية:**

يطلق عليها المياه الأرضية التي تسري إلى أساسات المباني الأثرية عبر المسام والشقوق والشروخ الدقيقة في مواد البناء بواسطة الخاصية الشعرية وقوة الإمتصاص[22]، وبحكم تواجد مسكن الحاج بالخضر وسط الغابة فنسبة المياه الجوفية مرتفعة وتأثر سلبا على اساسات المسكن وكذا جدرانه وهذا ما لحظناه جاليا .

- **مياه الأمطار:**

تتميز منطقة جبالة بزيادة معدلات التساقط الأمطار شتاءا، التي تعمل على تغلغل المطار داخل مواد البناء التي تؤدي إلى ارتفاع المحتوى المائي لها وهذا ما نجم عنه شروخ وتصدعات.

## 2.4 العوامل الميكانيكية:

تتعرض مختلف المباني التاريخية لمختلف العوامل التلف من بينها عوامل التلف ميكانيكية فهي تؤثر سلبا على المعالم التاريخية والمواقع الأثرية وهي تتمثل في الرياح، الزلازل، والصواعق، حركة التربة...الخ

- **الرياح:** تعتبر الرياح والعواصف من العوامل الجوية التي تشكل خطورة على المعالم الأثرية، وتتوقف خطورتها على سرعتها وحمولتها وهذا ما لاحظناه بالمسكن وخاصة على الواجهات والأسطح إذ أحدثت الرياح فجوات، حت والتعرية، كما لا ننسى أن الرياح تأتي محملة بالغبار والرمال وحبيبات، وأنها خير ناقل لبذور وحبوب اللقاح إلى الأسطح المباني حيث تتمركز وتتفاعل مع الهواء الرطب وتنمو وتتغلغل إلى العمق لتنمو الأشجار والنباتات[23].
- **حركة التربة:** تؤدي حركة المياه في التربة إلى تحرك الأرضية تبعا لوجود هذه المياه حيث أن وجودها في التربة الطينية القابلة للإنتفاخ، وعند تبخر هذه المياه بسبب إرتفاع

درجة الحرارة في الوسط المحيط يحدث إنكماش لهذه التربة يؤدي إلى إحداث شروخ على مستوى المباني.

إضافة إلى إتساع الأرضية بالمياه الجوفية يؤدي إلى حدوث إنزلاق التربة وبالتالي هبوط في مستوى الأرضية، وبهذا إنهيار المباني التاريخية والأثرية.

### 3.4 العوامل البيولوجية:

ونقصد بها عوامل التلف المرتبطة بالنباتات والحيوانات والحشرات والكائنات الحية الدقيقة، وفي هذا الجزء لن نتطرق إلى ذكر جميع عوامل التلف البيولوجية بل سوف نقتصر على ذكر أهم العوامل التي أثرت على المسكن.

- **النباتات:** يؤدي نمو النباتات بالقرب من المباني الأثرية أو بين طبقات الجدران إلى تشققها وإنفصالها عن بعضها البعض بفعل جذورها التي تنمو مؤدية إلى ضغوط جانبية، وما لحظناه عند قيامنا بالمعاينة الميدانية للمسكن تواجده وسط الغابات وكذلك نمو الأشجار (شجرة الزيتون) داخل المسكن وكذا بعض النباتات والأشواك وقد تصل جذورها إلى جدران وأساسات المسكن.(أنظر اللوحة رقم 02)



اللوحة رقم 02: تبين كثرة النباتات والأشجار داخل مسكن الحاج بلخضر.
تصوير الباحثين

- **الطيور**: عملت الطيور على إتلاف مواد البناء والأسطح الخارجية للمبنى وبالخصوص الأجزاء البارزة والعلوية منه، حيث كان التأثير إما ميكانيكيا كإزالة الأجزاء ضعيفة الالتصاق بالسطح وذلك بتكرار الوقوف عليها وملامستها، أو كيميائيا كتأثير نواتج مخلفاتها على الأسطح، وذلك التراكم يؤثر على الأثر، حيث تتغذى عليها البكتيريا

وأثناء تحليلها لهذه المواد (فضلات الطيور) تنتج أحماضا مما يساعد على تأكل المونات والمواد الرابطة وحتى على الطوب.

وكذلك يظهر تأثير الطيور في تلف مواد البناء وذلك عن طريق بناء أعشاشها واتخاذها لبعض الفجوات كمنازل لها، وهذا ما ينتج عنه تشويه الأسطح وواجهات المبنى.

- **الحشرات**: تعمل الحشرات على حفر الأنفاق في المبنى أو بناء أعشاشها من الطين مثل: اليعسوب، حيث تقوم بفرز بعض الإنزيمات التي تؤثر كيميائيا على مواد البناء، كما لاحظنا أيضا انتشار بيوت العناكب على مستوى الجدران حيث تعمل على تشويه السطح الخارجي للمبنى.

### 4.4 العوامل البشرية:

إن التراث الثقافي مهدد بالتدمير المتزايد لا بالأسباب التقليدية للاندثار فحسب وإنما أيضا بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة التي تزيد من خطورة الموقف بما تحمله من عوامل الإتلاف والتدمير الأشد خطراً ويشمل هذا العامل الأسباب البشرية التي كان لها أثرا بالغا على هياكل المسكن من أعمال الهدم والتخريب، ولهذا نصنفها ضمن أخطر عوامل التلف:

- **هجرة المباني**:

وتتمثل هذه الظاهرة في ترك السكان الأصليين للمسكن وعدم استخدامه لمدى الحياة، حيث نتج عنها انعدام للصيانة الدورية للمباني، مما أدى إلى تدهور أجزاء كبيرة من المسكن وانهيارها.

**خاتمة:**

يظهر من خلال ما سبق أن منطقة جبالة من المناطق الغنية بالمساكن الريفية التي لا تخرج عن الطراز التقليدي الذي يتسم بطابع البساطة، ومن خلال المعاينة الميدانية لأنموذج الدراسة المتمثل في مسكن الحاج بالخضر، فإنه ينتمي إلى نمط القرى الريفية المنعزلة،

وتغلب عليه البساطة في التصميم ومواد البناء ولكنه لا يخرج عن الطابع العمراني في إنشاء البيوت الإسلامية، حيث روعي فيه مبدأ الحرمة والخصوصية من خلال المدخل المنكسر والتقليل من الفتحات والنوافذ الكبيرة التي تطل على الخارج بالرغم من أنه منعزل وبعيد عن التجمعات السكنية المجاورة .

أما بخصوص الحالة الراهنة للمسكن فهو كغيره من المعالم التي تعاني الإهمال من طرف السلطات المعنية بصفته معلم غير مصنف، ولكن وجب علينا نحن كأثريين نقوم بالتفاتة ونساهم في إخراجه من طي النسيان وذلك من خلال اقتراح بعض التدخلات العلاجية والمتمثلة في:

- حملة تنظيف واسعة للمسكن ومحيطه بترخيص من البلدية.
- المراقبة والصيانة الدورية لحالة المسكن.
- تنظيف المسكن من النفايات التي تسبب تلوث بصري للمعلم وتنقص من قيمته الأثرية والجمالية.
- سد الفجوات والحفر التي تتخذها الطيور أوكارا لها بالملاط دوريا.
- إزالة النباتات وسد الشروخ والشقوق الموجودة في الجدران وملئ الفراغات جيدا كي لا تجد بذور النباتات مكانا لنموها وتكاثرها

**الهوامش:**

[1] توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ط1، 2015، ص15.

[2] المرجع نفسه، 35.

[3] canal, C. (1888). *monographie de larrondissement de tlemcen in B.S.G.O* . p :55.

[4] عبد الرحمن إبن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، المج:05، 2011، ص2419.

[5] Basset, R. (1901). nedroma et les traras . paris: Emest leraux, p :47.

[6] إبن منظور جمال فضل الدين، لسان العرب، دار الصدر، بيروت، 1968، ص132.

[7] راغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفة، 2008، ص 417.

[8] سورة النحل الآية 80.

[9] محمد جودي، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية –دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة –، اطروحة دكتوراه تخصص علم الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2014، ص4.

[10] الصديق تياقة، نمط المسكن وتطوره بالجنوب الغربي الجزائري في بلاد القصور "أدرار"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد27، 2015، ص232.

[11] أشرف محمد العزب، مدى ملاءمة المسكن الريفي لاغراض السكن والمعيشة في إحدى قرى محافظة كفر الشيخ، مجلة أبحاث ودراسات التنمية، العدد:02، جوان 2015، ص18.

[12] عبد الفتاح وهيبة، في جغرافية العمران، بيروت، دار النهضة العربية، 1980، ص26.

[13] عبد الرزاق أحمد سعيد صعب، المستقرات الريفية في العراق–القرى الريفية–، دراسات تربوية، العدد06، 2009، ص76.

[14] نفسه، ص77.

[15] نفسه، ص78.

[16] نفسه، ص75.

[17] محمد رابح فيسة، العمران الريفي في منطقة بني سنوس تلمسان –دراسة تاريخية أثرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة تلمسان، 2014، ص110.

[18] نفسه، ص111.

[19] أشرف محمد العزب، المرجع السابق، ص18.

[20] قادوس عزت زاكي حامد، علم الحفائر فن المتاحف، مطبعة الحضري الاسكندرية، مصر،2004، ص256.

[21] جورجيو توراكا،تكنولوجيا المواد وصيانة المباني الأثرية، ترجمة: أحمد إبراهيم عطية، المترجمون، القاهرة، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع،2003، ص71.

[22] عوض محمد أحمد، ترميم منشأت الأثرية،دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص130.

[23] جورجيو توراكا، المرجع السابق، ص85.